

المقاومة الرمزية في الفضاء الرقمي:

سوسيولوجيا النقطة والرمز في مواجهة الرقابة الخوارزمية

Symbolic Resistance in Digital Space:
A Sociology of the Dot and the Symbol against Algorithmic
Censorship

تاريخ النشر: 2026/04/30

تاريخ القبول: 2026/04/21

تاريخ الإرسال: 2026 /01/07

روابع سامح¹EMAIL : sameh.rouabah@ummtto.dz، جامعة تيزي وزو ، الجزائر ¹<https://orcid.org/0009-0008-4339-1220> +

الملخص

يتناول هذا البحث تحولات المقاومة الرمزية في الفضاء الرقمي، بوصفها استجابة اجتماعية خلاقة لهيمنة الخوارزميات وآليات الضبط غير المرئية. ينطلق من دراسة الحالة الفلسطينية ليحلل كيف أعادت الجماعات الفاعلة توظيف الحرف، الرمز، والنقطة باعتبارها أدوات بقاء وعبور داخل فضاء مراقب. يكشف البحث أن اللغة الرقمية لم تعد وسيطاً للتعبير فقط، بل صارت حقل صراع تُعاد فيه صياغة المعنى والهوية والذاكرة الجمعية، كما يبين كيف أنتج هذا التحايل الرمزي أشكالاً جديدة من الفعل الجماعي العابر للثقافات، خارج الأطر التنظيمية التقليدية، ويخلص إلى أن الخوارزمية، رغم ادعاء الحياد، أعادت تشكيل المجال العام، لكتّها فشلت في إلغاء قدرة الإنسان على الابتكار الرمزي وبناء لغة مقاومة ذكية تتجاوز المنع وتُبقي الصوت حياً.

الكلمات المفتاحية: المقاومة، الرمزية، النقطة، الترميز، الخوارزمية، الفضاء،

المؤلف المرسل: روابح سامح، الإيميل: sameh.rouabah@ummtto.dz

:Abstract

This study examines the transformations of symbolic resistance in the digital sphere as a form of creative social response to algorithmic dominance and invisible regimes of control. Drawing on the Palestinian case, it analyzes how activists have reappropriated letters, symbols, and punctuation as tools of survival and circulation within a monitored digital environment. The study demonstrates that digital language is no longer merely a medium of expression but has become a contested field where meaning, identity, and collective memory are continuously renegotiated. It further shows how these symbolic practices have generated new forms of connective action that transcend cultural and national boundaries beyond traditional organizational structures. Ultimately, the study argues that while algorithms reshape the public sphere under the guise of neutrality, they fail to extinguish human agency, which persistently reinvents symbolic languages capable of bypassing censorship and sustaining political visibility.

Keywords: resistance, symbolic, dot, encoding, algorithm, digital space, Palestine

1. مقدمة:

لم يعد الفضاء الرقمي مجرد امتداد افتراضي للواقع الاجتماعي، بل غدا بنية قائمة بذاتها، تُعاد داخلها صياغة السلطة، والمعنى، وإمكانات الظهور والاختفاء، ففي هذا الفضاء، لا تُقاس القوة بعدد المتكلمين، بل بقدرة الخطاب على النفاذ عبر مصافي خوارزمية صماء، تُقَرَّر بلا وجه ولا مساءلة ما يُرى وما يُمحي، وما يُسعى وما يُختزل إلى صمت. هنا لم تعد الرقابة حدثًا استثنائيًا أو فعلًا سلطويًا مباشرًا، بل تحولت إلى نظام

تشغيلي دائم، مدمج في صلب المنصات، يعمل بصمت، ويُنتج أثره عبر الحساب، لا عبر القرار.

أمام هذا التحول البنيوي، وجدت الجماعات الرقمية نفسها في مواجهة شكل جديد من الهيمنة؛ هيمنة لا تُعلن ذاتها، ولا تحتاج إلى العنف الرمزي الصريح، لأنها تشتغل عبر منطق الإخفاء الناعم، والترشيح الذكي، وإعادة ترتيب الأولويات الدلالية، في هذا السياق لم تعد اللغة آمنة في شكلها المباشر، ولم يعد الحرف بريئاً في حضوره الكامل، بل صار كل تعبير صريح مشروع شطب مؤجل. من هنا تبدأ اللغة في التصدّع لا بوصفه انهياراً بل باعتباره استراتيجية: تفكيك الكلمة، تشظية المعنى، وتحويل أصغر الوحدات اللغوية إلى مساحات مناورة.

تنطلق هذه الدراسة من سؤال إشكالي مركزي: كيف تُنتج المقاومة حين يُمنع الخطاب؟ وكيف يعيد الفاعلون الاجتماعيون ابتكار أدواتهم التعبيرية حين تُصادر اللغة في شكلها الكامل؟ وتفترض الورقة أن ما نشهده اليوم ليس تراجعاً في القدرة على التعبير، بل تحوُّلاً نوعياً في أنماط المقاومة، حيث تنتقل من مستوى الخطاب الكلي إلى مستوى الميكرو-رمز، ومن المواجهة المباشرة إلى الالتفاف الذكي، فالنقطة والرمز، والتقطيع المتعمد للكلمة ليست انحرافات لغوية، بل أفعال اجتماعية محمّلة بدلالة سياسية عميقة.

في هذا الإطار، تُعاد صياغة العلاقة بين الإنسان واللغة؛ لم تعد اللغة أداة لنقل المعنى فقط، بل أصبحت وسيلة للبقاء الرمزي داخل فضاء عدائي. النقطة التي كانت علامة ترقيم صامتة، تتحوّل إلى أداة اختراق، والرمز الذي كان زخرفاً بصرياً، يغدو حاملاً لمعنى جماعي متوافق عليه ضمناً، هكذا تنشأ لغة موازية، لا تُدرّس في المعاجم، ولا تخضع لقواعد النحو التقليدي، لكنها فاعلة، متداولة، وقادرة على شحن المعنى دون أن تقع في فخ الرصد الآلي.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل هذه الممارسات بوصفها مقاومة رمزية رقمية، تنتهي إلى مستوى خفي من الفعل الاجتماعي، حيث لا يُرفع الشعار، بل يُلمّح إليه، ولا يُصرّح بالمعنى، بل يُترك للقارئ ليُتمّه استدلالياً. تعتمد الورقة مقاربة سوسولوجية تحليلية،

تنظر إلى النقطة والرمز لا كحيل تقنية ظرفية، بل كبنى دلالية ناشئة تعبّر عن وعي جمعي جديد بطبيعة السلطة في العصر الخوارزمي، وعن انتقال الفعل الاحتجاجي من الشارع إلى الواجهة الرقمية، ومن الهتاف إلى العلامة.

بهذا المعنى، لا يسعى هذا المقال إلى توصيف ظاهرة لغوية معاصرة فحسب، بل إلى تفكيك منطقها العميق، والكشف عن رهاناتها الاجتماعية والسياسية، بوصفها أحد الأشكال الصامتة شديدة الفعالية لمقاومة الإخضاع الخوارزمي، ومحاولة لاستعادة الحق في التسمية، وفي الظهور، وفي الوجود الرمزي داخل عالم يُدار بالأكواد أكثر مما يُدار بالكلمات.

2. الخلفية التاريخية

1.2. الممارسات الموارية في مواجهة سلطة المعنى

لا يمكن فهم ما يُمارَس اليوم من تلاعب لغوي وخطابي داخل المنصات الرقمية، ولا ما يبدو ظاهريًا كـ«تحايل» على الخوارزميات، إلا من خلال وضعه ضمن سياق تاريخي طويل، يمتد عبر العلاقة المتوترة بين السلطة وآليات التعبير، فما يُرى اليوم ليس قطيعة عابرة، بل استمرار لتراكم متواصل من الممارسات الرمزية التي تتشكل كلما اشتدّ الضبط وادّعت السلطة الشمولية. هذه الممارسات لا تهدف إلى إسقاط النظام أو تفكيكه، بل إلى فتح هوامش للتداول البشري للمعنى، وإعادة ضبط العلاقة بين الفاعل الفردي وآليات الرقابة، بطريقة تحفظ حيوية المعنى دون مواجهته المباشرة. على امتداد التاريخ، من الاستعمار الذي فرض لغات رسمية مع الاحتفاظ باللكنات المحلية والإحياءات المبطنة، إلى السجون التي شهدت شيفرات على الجدران ورسائل مشفرة، وصولًا إلى أنظمة الرقابة الإعلامية في القرن العشرين، نجد نمطًا ثابتًا؛ كلما حاولت السلطة اختزال المعنى في قنوات ضيقة، أبدع الفاعل في التكيّف الرمزي، مستغلًا الثغرات، ومحوّلًا القيود إلى فضاءات للتعبير المشقّر، حيث تتحرك الرمزية بين الصمت والإشارة، وتعيد إنتاج المعنى في الهامش، من هذا المنظور يمكن النظر إلى التحايل الرقمي اليوم على الخوارزميات ليس كظاهرة تقنية جديدة، بل كامتداد طبيعي لتاريخ طويل من الممارسات الرمزية المقاومة

للرقابة والسيطرة، تاريخ يُعلّمنا أن كل ضبط يفتح طريقًا للمراوغة، وكل محاولة للاحتواء تولّد مساحات للابتكار الرمزي واللغوي.

في هذا السياق، يفتح ميشيل دو سارتو أفقًا تحليليًا حاسمًا حين يميّز بين الاستراتيجيات، بوصفها أدوات السلطة المتمركزة، والتكتيكات، بوصفها ممارسات يومية يبتكرها الفاعلون من داخل فضاءات لا يملكونها. (de Certeau, 1984) هنا لا تُمارَس المقاومة عبر المواجهة، بل عبر الاستخدام الملتوي للأدوات المفروضة ذاتها، هذا المنطق يفسّر كيف يتحوّل القيد إلى مورد، وكيف تصبح اللغة، حتى وهي مراقبة، مجالًا للمناورة.

وفي امتداد قريب، يذكّرنا جيمس سكوت بأنّ المجتمعات الخاضعة لا تعبّر دائمًا عن رفضها في العلن، بل تطوّر ما يسميه "الخطاب الخفي"، وهو خطاب يعمل تحت السطح، عبر الإيحاء، التورية، والرمز، محافظًا على المعنى دون تعريض حامله للعقاب المباشر. (Scott, 1990) هذا الخطاب لا يهدف إلى إسقاط السلطة فورًا، بل إلى تفرّيقها من قدرتها على احتكار المعنى.

تاريخ الاستعمار يقدّم مثالًا كثيف الدلالة؛ فاللغة المفروضة لم تُستعمل يومًا كما أُريد لها أن تُستعمل. لقد جرى تطويعها، تهجينها، وحققها بتعابير محلية حوّلتها من أداة سيطرة إلى وسيط مزدوج المعنى. هنا تتجلى ما يمكن تسميته بالذكاء التداولي للمجتمعات المقهورة، حيث لا يُرفض النظام اللغوي، بل يُعاد توظيفه من الداخل.

هذا المنطق نفسه نجده داخل الفضاءات السجنية، التي حلّلها فوكو بوصفها نموذجًا مكثفًا للضبط والمراقبة. (Foucault, 1995) فرغم الإحاطة الكاملة بالجسد، ظلّ المعنى يتسرّب عبر قنوات غير متوقعة؛ إشارات، شيفرات، إيقاعات، وكلمات تبدو بريئة في ظاهرها. ما تكشفه هذه الممارسات هو أن السلطة، مهما بلغت دقتها، تظل عاجزة عن السيطرة الكاملة على التأويل.

ومع الانتقال إلى الفضاء الرقمي، تتغيّر الأداة، لكن المنطق يبقى ذاته، فالخوارزمية لا تفهم المعنى، بل تتعرّف على الأنماط، وهنا تحديدًا يظهر شكل جديد من التكيّف الرمزي، إدخال النقطة، الفراغ، أو الرمز داخل كلمة محظورة لا يهدف إلى إخفاء المعنى

عن البشر، بل إلى تعطيل التعرّف الآلي عليه. المعنى يبقى حيًّا، لكنه يصبح غير قابل للاستهلاك الخوارزمي.

في هذا الموضوع، يساعدنا تصور بيير بورديو للسلطة الرمزية، ليس بوصفها قهرًا مباشرًا، بل بوصفها قدرة على فرض أنماط الإدراك ذاتها (Bourdieu, 1991) ما يحدث هنا هو تعليق مؤقت لفعالية هذه القدرة، لا عبر المواجهة، بل عبر إعادة ترتيب العلامة داخل النظام نفسه. النقطة لا تُلغى الكلمة، لكنها تُربك آلية قراءتها، فتستعيد الذات بعضًا من سيادتها على المعنى.

هكذا يتبيّن أن ما نراه اليوم ليس لعبًا لغويًا عابرًا، بل امتدادًا معاصرًا لتاريخ طويل من التكتيكات اليومية التي طوّرتها المجتمعات تحت الرقابة. إننا أمام سياسة صغرى للمعنى، لا تهدف إلى كسر النظام دفعة واحدة، بل إلى استنزاف يقينه، وتأجيل فاعليته، وفتح ثغرات إنسانية داخل بنية تقنية صمّاء.

3. اللغة من أداة تعبير إلى شرط بقاء في الفضاء الخوارزمي

1.3. الحرف ككيان مقاوم

في السياق الرقمي المعاصر، لم تعد اللغة وسيطًا محايدًا يُستخدم للتواصل فحسب، بل تحوّلت إلى شرط بنيوي من شروط الوجود الرمزي داخل المجال العام الشبكي. فالكلمة اليوم لا تُقاس بقدرتها على نقل المعنى فقط، بل بقدرتها على العبور، على الظهور، وعلى الإفلات من أنظمة الفرز الخوارزمية التي باتت تؤدي دور "الحارس غير المرئي" للخطاب. ضمن هذا التحوّل، لم يعد الإقصاء الرقمي يُمارَس عبر المنع الصريح وحده، بل عبر تقنيات أكثر نعومة وتعقيدًا، تُقرّر ما الذي يُرى، وما الذي يُدفع إلى الهامش، وما الذي يختفي دون أثر. هنا، يصبح الحرف ذاته بوصفه أصغر وحدة لغوية كيانًا اجتماعيًا معرضًا للإبقاء أو الإقصاء، لا لسبب دلالي بالضرورة، بل لسبب خوارزمي.

هذا الواقع يفرض إعادة نظر جذرية في موقع اللغة داخل بنية السلطة الرقمية. فحين تُحدَف كلمات بعينها، أو تُخَفَّض قابلية انتشارها، أو تُصنّف آليًا ضمن محتوى "إشكالي"، لا يُستهدف الخطاب في مستواه الدلالي فقط، بل يُستهدف الوجود الرمزي للفاعل نفسه، أي حقه في أن يكون مرئيًا ومسموعًا داخل الفضاء المشترك. بهذا المعنى،

تصبح الخوارزميات فاعلاً تنظيمياً في المجال العام، لا تعمل بوصفها أدوات تقنية محايدة، بل بوصفها أنظمة ترتيب تُجسّد اختيارات اجتماعية وسياسية مقنّعة، تُعيد توزيع الانتباه والشرعية والشرطية الخطابية. (Gillespie, 2014)

في هذا السياق، يخرج الحرف من وظيفته التعبيرية الكلاسيكية، ويدخل في منطق البقاء. لم يعد السؤال المركزي: ماذا أقول؟ بل أصبح: كيف أقول كي أبقى حاضراً؟، أي كيف يمكن تمرير الدلالة دون تفعيل آليات الحجب الآلي. هنا تتحوّل اللغة إلى أداة تفاوض مع السلطة الخوارزمية، تفاوض لا يتم عبر المواجهة المباشرة أو الخطاب الصريح، بل عبر إعادة تشكيل البنية الصغرى للقول؛ التقطيع المتعمّد، إدراج النقاط، كسر الكلمات، اللعب على المسافات البصرية، وتفكيك التتابع الحرفي الذي تعتمد عليه أنظمة الكشف الآلي.

من منظور سوسولوجي، يكتسب الحرف في هذا الإطار قيمة تتجاوز كونه وحدة لغوية، ليغدو حاملاً لرأس مال رمزي جديد. فالفرد أو الجماعة التي تمتلك كفاءة في ما يمكن تسميته بـ"لغة العبور الرقمي"، أي معرفة ما يُكتب صريحاً، وما يُقَطَّع، وأين تُوضَع النقطة، ومتى يُستعاض عن الحرف بالرمز تمتلك قدرة أعلى على الفعل والتأثير داخل الحقل الرقمي. هذا المعطى يعيد إنتاج أشكال جديدة من التفاوت داخل المجال العام، لا تقوم على المعرفة أو الرأي فقط، بل على الكفاءة الرمزية في التعامل مع الخوارزميات، وهو ما يجعل اللغة مورداً للسلطة وإعادة التموقع داخل الفضاء الشبكي.

غير أنّ ما يمنح هذا التحوّل عمقه الحقيقي هو طابعه الجماعي لا الفردي. فالحرف لا يتحوّل إلى كيان مقاوم إلا حين يُعاد تداوله داخل شبكة من الفاعلين الذين يشتركون في فهم ضمني لقواعد اللعبة. فالنقطة الموضوعية داخل كلمة محظورة لا تؤدي وظيفتها إلا لأن القارئ البشري قادر على إعادة تركيب المعنى فوراً، ولأن السياق التداولي يسمح بملء الفراغ الدلالي دون عناء. هنا، لا تقوم المقاومة على الغموض المطلق، بل على غموض مضبوط: غموض يكفي لإرباك الآلة، دون أن يقطع التواصل بين البشر، وبهذا المعنى، يصبح الحرف فضاءً لتواطؤ إيجابي، ومكاناً لبناء تفاهم غير معلن بين الفاعلين.

يكشف هذا الاستخدام المقاوم للحرف عن تحوّل في طبيعة الفعل السياسي ذاته، فبدل الخطاب المباشر والشعارات الصريحة، يظهر نمط من الاحتجاج الصامت، المتخفي، الذي يعمل تحت عتبة الرصد الخوارزمي. هذا الصمت ليس غياباً للخطاب، بل إعادة ترميزه. الحرف هنا يؤدي وظيفة مزدوجة: ظاهرياً يبدو ناقصاً أو بريئاً، وباطنيّاً يحمل شحنة دلالية كاملة، ويمكن قراءة هذه الممارسات بوصفها امتداداً معاصراً لأشكال "المقاومة اليومية" التي لا تواجه السلطة مباشرة، بل تُستنزفها عبر ممارسات دقيقة ومتكررة، تعتمد على التلاعب بالعلامة بدل الصدام مع القاعدة.

الأهم من ذلك أن هذا التحوّل لا يعبر عن ضعف الفاعل الرقمي، بل عن مرونته وقدرته على الابتكار. فالخوارزمية، مهما بلغت درجة تعقيدها، تظل محكومة بقواعد إحصائية ونماذج تعلّم محدودة، في حين يمتلك الإنسان قدرة على الانزياح، والتلميح، والتأويل، وإعادة بناء المعنى خارج القواعد الصارمة، هذه الفجوة بين الذكاء السياقي البشري والذكاء الحسابي الآلي هي ما يسمح للحرف بأن يتحوّل إلى مساحة مقاومة. كل نقطة تُدرج داخل كلمة ممنوعة هي إعلان صغير عن هذه الفجوة، وتذكير بأن السيطرة الخوارزمية ليست مطلقة كما تُقدّم.

وعليه، يمكن القول إن الحرف في الفضاء الرقمي لم يعد وحدة لغوية صامتة، بل أصبح موقعاً للصراع، وشرطاً للظهور، وأداة للبقاء الرمزي، كما أن فهم هذا التحوّل لا يتيح فقط تحليل ممارسات التقطيع والترميز، بل يفتح أفقاً أوسع لفهم كيف يُعاد تشكيل المجال العام في عصر الخوارزميات، وكيف تنتقل المقاومة من مستوى الخطاب الكبير إلى مستوى الذرة اللغوية، حيث تُدار معارك صغيرة، صامتة، لكنها شديدة الدلالة

2.3. النقطة كسلاح: من علامة ترقيم إلى أداة اختراق للرقابة الخوارزمية

إذا كان الحرف قد تحوّل في الفضاء الرقمي إلى شرط للبقاء الرمزي، فإن النقطة تمثل لحظة أكثر راديكالية في هذا التحوّل؛ إذ تنتقل من كونها علامة صامتة لضبط الإيقاع اللغوي إلى أداة فعل اجتماعي واعي، تُستثمر بذكاء جماعي لاختراق منطق الرقابة الخوارزمية، فالنقطة في أصلها اللغوي لا تحمل معنى مستقلاً، لكنها في السياق الرقمي المعاصر تكتسب قوة استثنائية لأنها تعمل في منطقة رمادية بين الظهور والاختفاء، بين القول والكتمان، وبين المعنى المصحّح به والمعنى المفهوم ضمنياً. هذه المنطقة الرمادية

هي بالضبط ما تعجز الخوارزميات عن ضبطه بشكل كامل، لأنها تقوم على منطق السياق والتأويل لا على منطق التطابق الحرفي.

سوسولوجيًا، يمكن النظر إلى النقطة بوصفها شكلاً من الانزياح الرمزي التكتيكي؛ أي ممارسة دقيقة يعيد من خلالها الفاعل المُقَيّد تقنيًا توجيه العلامة داخل منظومة ضبط خوارزمية قوية لكنها فاقدة للحسّ التأويلي، فعندما تُدرج النقطة داخل كلمة محظورة، لا يُلغى المعنى ولا يُستبدل، بل يُعاد توزيعه على نحو يُربك آلية الكشف الآلي دون أن يقطع التواصل البشري، هذا الانزياح لا يهدف إلى التخفي الكامل، بل إلى إحداث تشويش محدود، لكنه كافٍ لإعادة فتح المجال أمام التداول الإنساني للمعنى، وهنا تتحول النقطة إلى تكتيك سيميائي دقيق يعمل من داخل بنية السلطة الرقمية، مستثمرًا هوامشها، لا عبر مواجهتها المباشرة، وهو ما ينسجم مع منطق الممارسات اليومية التي تراكم أثرها عبر التكرار لا عبر الصدام الكلي.

إنّ قوة النقطة لا تكمن في شكلها، بل في اتفاق جماعي ضمني على قراءتها، فحين يكتب فاعل رقمي كلمة مقطّعة بالنقاط (م.ج..لة.ع..لوم الإن..سان)، فهو يفترض مسبقًا وجود جمهور قادر على إعادة تركيب المعنى دون عناء، هذا الافتراض ليس بريئًا، إنه يعكس تشكّل كفاءة تأويلية جماعية داخل المجتمعات الرقمية، كفاءة تُبنى عبر التكرار، والتجربة، والملاحظة، حتى تتحول إلى ما يشبه "الحسّ اللغوي المشترك"، وبهذا المعنى لا تعمل النقطة بمعزل عن الجماعة، بل تكتسب فعاليتها من كونها جزءًا من منظومة رمزية مشتركة، حيث يصبح الفهم نفسه فعل مقاومة.

من زاوية أخرى، تكشف النقطة عن اختلال عميق في العلاقة بين اللغة والسلطة في العصر الخوارزمي، فالسلطة هنا لا تحظر الفكرة لأنها فكرة، بل لأنها ارتبطت بسلسلة حروف معينة صُنِّفت مسبقًا كمشكلة، هذا الاختزال التقني للمعنى يجعل من التلاعب بالحروف، ولو بأدق التفاصيل، وسيلة ناجعة لإعادة تمرير الفكرة ذاتها، وهنا يظهر بوضوح أن الرقابة الخوارزمية ليست رقابة على المعنى، بل على شكله، على تمثيله النصي لا على محتواه الدلالي، فالنقطة تستغل هذا القصور البنيوي، وتحوله من نقطة ضعف فردية إلى مورد جماعي للمقاومة.

كما أنّ النقطة، بوصفها ممارسة متكررة، تُنتج أثرًا تربويًا غير مباشر داخل الفضاء الرقمي، فهي تعلّم الفاعلين دون تنظير صريح، أن اللغة قابلة لإعادة التشكيل، وأن القواعد ليست نهائية، وأن المعنى يمكن أن ينجو حتى في ظل التشويه المتممّد، بهذا المعنى تسهم النقطة في تكوين ذات رقمية يقظة، واعية بحدود المسموح، لكنها غير مستسلمة له، إنها تزرع في الوعي الجمعي فكرة بسيطة لكنها عميقة، إذا أُغلق باب القول فثمة دائمًا شقّ صغير يمكن النفاذ منه.

ولا يمكن إغفال البعد الأخلاقي لهذا الاستخدام للنقطة، فالمقاومة الرمزية هنا لا تقوم على التضليل أو الكذب، بل على حماية المعنى من الإلغاء القسري، لأن النقطة هنا لا تُخفي الحقيقة، بل تحرسها من الاختفاء، وتمنحها فرصة للاستمرار داخل المجال العام، وهذا ما يمنح هذه الممارسة شرعيتها الأخلاقية، ويجعلها مختلفة جذريًا عن أشكال التلاعب الخطابية التي تهدف إلى التضليل أو التمويه العدمي، نحن هنا أمام فعل دفاعي عن الحق في التسمية، لا عن رغبة في الإفلات من المساءلة.

وعليه، يمكن القول إن النقطة تمثل انتقالًا نوعيًا في تاريخ المقاومة اللغوية، من مقاومة تقوم على رفع الصوت إلى مقاومة تقوم على تعديل الإشارة، من خطاب مباشر إلى خطاب مشقّر جزئيًا، لكنه مفهوم جماعيًا، وهي دليل على قدرة الفاعل الاجتماعي على إعادة ابتكار أدواته كلما تغيّرت بنية السيطرة، وفي هذا الإطار لا تعود النقطة مجرد تفصيلة تقنية داخل النص، بل تصبح أثرًا سوسيولوجيًا كثيفًا، يحمل في صغره دلالة صراع كامل بين إنسان يسعى إلى قول ما يجب قوله، ومنظومة تحاول أن تقرر مسبقًا ما يُسمح له أن يقول.

3.3. الرمز كذاكرة جمعية "من علامة الاعتبارية إلى لغة موازية غير قابلة للسيطرة"

إذا كانت النقطة تمثل لحظة اختراق دقيقة للرقابة الخوارزمية، فإن الرمز يمثل لحظة الترسّخ والاستمرار؛ أي انتقال المقاومة من فعل فردي تكتيكي إلى ممارسة جماعية ذات بعد زمني وذاكرتي، فالرمز في السياق الرقمي لا يعمل بوصفه مجرد بديل شكلي للحرف أو الكلمة، بل بوصفه حاملًا لمعنى متوافق عليه اجتماعيًا، يُنتج داخل جماعة رقمية محددة ويُعاد تداوله حتى يكتسب قوة الاستقرار، هنا لا يعود الرمز اعتباريًا كما في

التحليل السيميائي الكلاسيكي، بل يصبح مشروطاً بتاريخ استعماله، وبالتجارب المشتركة التي أحاطت به، وبالمعنى الذي ساهم في شحنه بدلالة إضافية.

سوسيولوجيًا، يمكن فهم الرمز الرقمي المقاوم كأثر لذاكرة جمعية تتشكل تحت الضغط، فعندما تُمنع الكلمات الصريحة، لا تختفي المعاني المرتبطة بها، بل تبحث عن أشكال بديلة للتجسد، ومع التكرار تتحول هذه الأشكال إلى علامات مألوفة داخل الجماعة، تُستدعى فور ظهورها دون حاجة إلى شرح أو تفصيل، فالرمز هنا لا يشرح القضية، بل يستحضرها دفعة واحدة، بكل حمولتها العاطفية والأخلاقية والسياسية، وبهذا المعنى يعمل الرمز كاختزال كثيف للمعنى، وكجسر يربط بين الذاكرة الفردية والذاكرة الجماعية في آن واحد.

هذا التحول من العلامة إلى الذاكرة لا يحدث تلقائيًا، بل عبر مسار اجتماعي واضح؛ تجربة الحذف ثم تجربة الالتفاف ثم الاعتراف الجماعي بالرمز بوصفه «أمنًا نسبيًا» وفعاليًا دلاليًا. في هذه اللحظة يغدو الرمز جزءًا من لغة موازية، لا تُدرّس ولا تُقنن رسميًا، لكنها تُكتسب بالممارسة والانغماس في الفضاء الرقمي، لغة تُبنى من الأسفل، من الاستعمال اليومي، وتُعيد توزيع القدرة على التعبير بين من يمتلك مفاتيحها ومن يجهلها، وهنا تظهر مرة أخرى فكرة الكفاءة الرمزية بوصفها موردًا اجتماعيًا، يحدّد من يشارك في إنتاج المعنى ومن يبقى على الهامش.

اللافت في هذه اللغة الرمزية أنها تقاوم السيطرة ليس لأنها غير مرئية تمامًا، بل لأنها غير قابلة للاختزال الحسابي بسهولة، فالخوارزمية تستطيع تعلّم الكلمات، وحتى أنماط التقطيع، لكنها تواجه صعوبة أكبر حين يتعلق الأمر برموز تتغير دلالتها بحسب السياق، أو تُحمّل معاني مختلفة باختلاف اللحظة التاريخية. الرمز بهذا المعنى كائن زنبقي، يعيش على الحدود بين الثبات والتغيّر، وهو ما يمنحه قدرة عالية على الإفلات من الضبط الشامل، فكلما حاولت السلطة الخوارزمية تثبيته داخل قاعدة بيانات، كان قد انتقل خطوة أخرى إلى معنى جديد أو استعمال مختلف.

كما أنّ الرمز يؤدي وظيفة وجدانية لا تقل أهمية عن وظيفته التداولية، فهو يمنح الفاعلين إحساسًا بالانتماء إلى جماعة مقاومة، حتى وإن كانت هذه الجماعة متناثرة

جغرافيًا وغير متجانسة اجتماعيًا. ظهور الرمز في نص أو تعليق يعمل كإشارة اعتراف متبادل، "نحن نفهم الشيء نفسه، ونقف في الجهة نفسها"، هذا الاعتراف الصامت يخفف من شعور العزلة، ويعيد إنتاج الروابط الاجتماعية داخل فضاء رقمي يتسم في العادة بالتفكك والتشظي، ومن هنا يمكن القول إن الرمز لا ينقل معنى فحسب، بل يبني علاقة. على المستوى التاريخي، يمكن اعتبار الرموز الرقمية امتدادًا معاصرًا لأشكال قديمة من اللغة السرية والشفرة الجماعية التي ظهرت في سياقات القمع والمنع، الجديد هنا ليس المبدأ، بل الوسيط والسرعة وانتشار النطاق، فالرمز الرقمي ينتقل في لحظات، ويتحول من إشارة محلية إلى علامة عابرة للحدود، دون أن يفقد بالضرورة دلاليته داخل الجماعة الأصلية، هذا التوسع السريع يفرض بدوره تحديات جديدة، إذ يصبح الرمز مهددًا بالابتذال أو التفرغ حين يخرج من سياقه النضالي ويدخل منطق التداول الاستهلاكي، ومع ذلك فإن قابلية الرمز للتجدد تمنح المقاومة فرصة مستمرة لإعادة اختراع لغتها.

وعليه، فإن الرمز في الفضاء الرقمي ليس مجرد تعويض عن كلمة محظورة، بل هو بنية دلالية مكتملة، تؤدي وظائف الذاكرة، والانتماء، والحماية، والتعبئة الصامتة، إنه أداة مقاومة لا تعمل بالصوت العالي، بل بالاستدعاء الذكي للمعنى، وبالحفاظ عليه حيًا رغم محاولات الطمس، وفي هذا المستوى تحديًا، تكتمل ثلاثية الحرف والنقطة والرمز، بوصفها مكونات دقيقة لمقاومة رمزية جديدة، لا تُقاس بوضوحها الخطابي، بل بقدرتها على الاستمرار والتكيف داخل فضاء رقمي يُعاد تشكيله باستمرار.

4.3. استراتيجيات المقاومة الرمزية الرقمية: من التقطيع والترميز إلى التشفير

الاجتماعي

في الفضاء الرقمي المعاصر، يتجلى الصراع بين الفعل الاجتماعي الخلاق ومنطق الهيمنة الخوارزمية في مستوى دقيق جدًا من الأداء اللغوي والرمزي، فحين يتحول الحرف إلى شرط بقاء والنقطة إلى أداة اختراق، تنشأ أمامنا شبكة من الاستراتيجيات الدقيقة التي لا يمكن فهمها بوصفها مجرد حيل تقنية، بل كممارسات اجتماعية متكاملة تتفاعل مع بنيات السلطة، وتعيد إنتاج أشكال من المعنى والهوية والذاكرة الجماعية.



أول هذه الاستراتيجيات الواعية والممنهجة هو ما يمكن تسميته التقطيع اللغوي التعمدي؛ أي تفكيك الكلمة ذاتها إلى وحدات صغرى مفصولة بعلامات غير نظامية (كالنقاط أو الشرطات أو المسافات غير الدلالية). هذا التقطيع ليس عشوائياً، بل هو أداء سيميائي يتوخى إرباك آليات الرصد الآلي وتجريده من قدرته على المطابقة الحرفية، في حين يحتفظ المعنى الكامل لدى المخاطب البشري الذي يجمع وحدات الكلمة بعضها إلى بعض استدلالياً. ما يحدث هنا ليس مجرد تفكيك لغوي، بل توزيع للمعنى عبر طبقات قراءة مختلفة، معنى فوري مشقّر وآخر صريح يُعاد بناؤه في ذهن القارئ.

بالانتقال إلى مستوى أعلى، نصل إلى استراتيجية الترميز أو الاستعاضة بالعلامات البديلة، هنا لا يقتصر الجهد على المسّ بالبنية الشكلية للكلمة، بل يُحوّل المعنى إلى علامات بصرية أو تشكيلات مختصرة، رموز مختلطة، اختصارات هجينة، وهذا ليس مجرد لعب بصري، بل هو إنشاء لغوي موازٍ تكون فيه العلامة الواحدة حاملة لدفعات دلالية متعددة: سياسية، وجدانية، ثقافية. عبر هذا الترميز تتبدّى قدرة الجماعة على بناء شبكة إشارات مشتركة لا تُقرأ آلياً كمحتوى خطر، لكنها تُقرأ بشرياً كخطاب احتجاجي مكتفٍ بذاته.

لكن الصعود النوعي في الممارسة الاستراتيجية لا يتوقف عند حدود التقطيع والترميز فحسب، بل يتجلى عبر ما يمكن تسميته التشفير الاجتماعي، هذا المفهوم لا يشير فقط إلى تحويل اللغة اليومية إلى صيغة مشقّرة، بل إلى بناء قاموس رمزي جماعي يُداول داخل فضاء شبكي كجزء من الممارسات الاعتيادية للمقاومة، في هذا السياق، يصبح الرمز ليس مجرد بديل لغوي، بل نظام إيماءات مشترك يُعرّف ويُرْمز ضمن قواعد ضمنية يفهمها أعضاء الجماعة دون إعلان صريح، التشفير الاجتماعي بهذا المعنى يتجاوز التقنية ليصل إلى الهوية الجماعية المشتركة.

إن قدرة هذه الاستراتيجيات على الانتشار تعتمد على آلية تتجاوز مجرد النسخ والنشر؛ هي عملية تحويل ثقافي اعتيادي، يُستوعب التكتيك الفردي ويُعاد إنتاجه على نطاق جماعي، ثم يُستَخدم كوحدة بنائية في لغة المقاومة نفسها، بهذا تتحوّل الممارسة من "حيلة فردية لتجاوز الرقابة" إلى "أسلوب حياة خطابي" معرفياً واجتماعياً، هنا يذوب

الفاعل الفردي في إطار الجماعة، وتُستثمر التجربة المشتركة في إنتاج أفكار وتوقعات نمطية تسهم في توسيع الفضاء الرمزي دون التعرض المباشر للمحظور.

السوسيولوجيا اليوم تنظر إلى مثل هذه الاستراتيجيات باعتبارها أدوات إنتاج معنى في مواجهة الهيمنة، وليس مجرد أدوات للمناورة حول العقاب الرقابي، فالترميز والتشفير الاجتماعي يعكسان قدرة الفاعل الجماعي على قراءة حدود الممكن داخل النظام نفسه، ومن ثم خلق جسر من الفعل الرمزي يتجاوز تلك الحدود، وهنا يصبح الفعل الرقمي المقاوم ليس محاولة لإسقاط النظام، بل ممارسة لإعادة تشكيل المعنى وفق قواعد جماعية تعيد للحقل العام جزءاً من حيويته المنهوبة.

ولا تنفصل هذه الاستراتيجيات عن البنية الاجتماعية نفسها، بل تغذى منها وتعيد إنتاجها كدوالٍ تداولية، فالذين يمارسون التقطيع والترميز لا يقومون بذلك في فراغ، بل داخل شبكات علاقات معقدة تشارك التاريخ، اللغة، الثقافة، والآثار النفسية للرقابة، ومن هنا يتضح أن المقاومة الرمزية ليست فعلاً فردياً لحظة، بل فعل اجتماعي مُوزَّع يتوزَّع بين الوعي والإدراك والسياق المشترك، بحيث يصبح كل رمز أو نقطة بمثابة وثيقة عن تاريخ تجارب الجماعة داخل بيئة قمعية.

وبالمثل، فإن هذه الاستراتيجيات تُظهر علاقة معقدة بين الفاعل الاجتماعي والخوارزمية، فالخوارزمية تسعى إلى التصنيف، الترشيح، والحذف وفق أنظمة معيارية مبنية على النصوص السطحية، بينما يستثمر الفاعلون قدراتهم السياقية في إعادة إنتاج معنى يفلت من إمساك القواعد المعيارية، وهكذا تنشأ فجوة بين الكفاءة البشرية في فهم المعنى وبين قدرة الخوارزمية على تحليله، وتستثمر المقاومة الرمزية هذه الفجوة بشكل منهجي.

في ضوء ذلك، ليس من الغريب أن تنتقل المقاومة الرمزية، بتكتيكاتها المتعددة، من مستوى تفاعلي تكتيكي إلى مستوى بنيوي رمزي، يؤسس لخطاب موازٍ متماسك، هذا الخطاب لا يلغي اللغة الرسمية، لكنه يُنئى بلغة مضادة تتكاثر عبر النقاط والرموز والترميزات المتفق عليها داخل الجماعة، وتُستخدم كسجلٍ لخبرة جماعية تُعاد قراءتها وتدويرها وتكييفها بحسب لحظة الصراع الرقمي.

أمام هذا المشهد، يصبح من الشائع أن تُقرأ النصوص الرقمية المقاومة ليس بحسب ما تقول صراحة، بل وفق شبكة من الدلالات المتداخلة التي لا يمكن اختزالها في معجم لغوي تقليدي، وما يحدث هو ما يمكن تسميته انتقالاً من النص المكتوب إلى "النص المشفّر"؛ أي نص لا يُقرأ بحسب قواعده الظاهرة، بل بحسب سياق جماعي ذي تاريخ وتوقعات، وهذا الانتقال يعكس بحد ذاته نقلة سوسيولوجية في فهم اللغة، من أداة ثابتة إلى منظومة دلالية متعددة المستويات لا يمكن رصدتها أو إسقاطها بالكامل عبر خوارزميات ترشيح صماء. هذا الانتقال يتقاطع مع ما تؤكده الأبحاث الحديثة في مجال التحيز الخوارزمي، والتي تُظهر أن الخوارزميات لا تعمل ككيانات محايدة في معالجة النصوص، بل تميل إلى إنتاج انحيازات مضمنة في نتائج البحث والترشيح حتى عندما يُفترض أنها محايدة، مما يبرز فجوة بين التعقيد الدلالي للنصوص البشرية وسطحية المعالجة الخوارزمية. (Stinson, 2022)

يمكن القول إن استراتيجيات التقطيع، والترميز، والتشفير الاجتماعي ليست مجرد تكيّفات تقنية عابرة، بل أشكال متكاملة من المقاومة الرمزية، تنشأ من تفاعل الفعل الاجتماعي مع محدودية الهيمنة التقنية، وتُعيد إطلاق المعنى بطريقة تأبديّة لا تُرى بالعين الميكانيكية بل تُفهم بالتصوّر الاجتماعي، وهكذا يصبح الفضاء الرقمي، رغم سجنه الخوارزمية، ساحة لممارسات دلالية غنية وقوية، قادرة على إعادة تشكيل العلاقة بين اللغة والسلطة، وبين المعنى والمقاومة في العصر الرقمي.

4. دراسة حالة: المقاومة الرمزية الرقمية في القضية الفلسطينية

1.4 الذاكرة الفلسطينية والخوارزمية

بينما تؤكد الهياكل الرقمية الكبرى، من منصّات تواصل واجهات بحث وخوارزميات تصنيف، على أنها محايدة ولا تحمّل توصيفات سياسية (Stinson, 2022)، تكشف التجربة الفلسطينية في الفضاء الرقمي عن واقع مغاير: هو صراع على التمثيل، الظهور، والذاكرة في زمن تتداخل فيه القوة التقنية مع السياسة الاجتماعية.



منذ بداية الألفية الثانية، وتحديداً مع الانتفاضات الفلسطينية، ظهرت على الساحة الرقمية ممارسات احتجاجية تعتمد على الكلمات الصريحة (احتلال، غزة، تهجير). لكن مع تصاعد أنظمة الرقابة الخوارزمية التي تميل إلى حجب أو تمييز المحتوى المصنّف كعنيف أو سياسي حساس، بدأت جماعات فلسطينية ومناصرون للقضية في إعادة اختراع اللغة نفسها داخل المنصّات (مثل فيسبوك، تويتر، إنستغرام) كي تظل أفعال التسمية والتشديد ممكنة رغم إجراءات السحب والحذف وتخفيض الوصول التي تفرضها الخوارزميات.

في هذه الحالة، لا يمكن فهم المقاومة الرقمية الفلسطينية بوصفها مجرد احتجاج معتاد؛ فهناك قوة خفية تحاول طمس الصوت الفلسطيني عبر آليات تقنية ليست محايدة كما تُروّج. تتّجسّد في أنظمة تحليل النصوص، نماذج التعلّم الآلي، وبرمجيات الفلترة التي تُستعمل للحذف الأوتوماتيكي للمحتوى أو تهيمشه (Noble, 2018). ومن هنا نشأت حاجة فعلية لدى النشطاء إلى تطوير لغة موازية تُبقي المعنى حيّاً، لكن خارج نطاق التقاط الخوارزمية المباشر.

أول أدوات المقاومة الرمزية الفلسطينية كانت التقطيع اللغوي المتمدّد، فقد ظهرت كلمات مثل "فلسطيني*ن" بدل "فلسطين"، أو "غ*زة" بدل "غزة"، بحيث تُربك آلية الكشف الحرفي للخوارزمية لكنها تبقى واضحة المقصد لدى الجمهور البشري. هنا يتحقق ما أسماه "اختراق السياق الظاهري": أي القدرة على تمرير الدلالة أمام عقل بشري قارئ، دون المرور عبر مرشحات التطابق الحرفي الآلي.

تلا ذلك تركيب نماذج الترميز البديلة حيث تُستخدم رموز مثل (اليد المرفوعة، حمامة السلام، قطرة دم، علم فلسطين) في رسائل مصغّرة تحمل حمولة عاطفية وسياسية عالية، وتُفهم ضمنياً داخل جمهور واسع دون تعليق صريح، هذه الرموز لا تُلغي المعنى، بل تُثبّت في إطار "لغة الظل" التي يشاركها كل من يتعرّف على السياق الفلسطيني ويحمل الخلفية المعرفية والوجدانية نفسها، وهو ما يستدعي أن تعتبر هذه الممارسات أشكال تشفير اجتماعي وليست مجرد رمزيات نصية.

أحد الأوجه اللافتة في التجربة الفلسطينية الرقمية هو بناء ذاكرة رقمية جماعية عبر الاستعادة المتكررة للرموز نفسها في مناسبات مختلفة (حصار، قصف، مسيرات

دعم...). هذا يجعل من الرمز ليس أداة لحظية، بل مرجعًا ذاكرًا يُستدعى عند كل حدث جديد، ويُقرأ دائمًا كدلالة تذكيرية على استمرار القضية رغم محاولات طمسها. إنّ هذا الاستخدام الدائم والمتكرر للرموز هو ما يمنحها وضعًا أقرب إلى علامة طقسية مشتركة داخل جماعة عالمية مناصرة، وليس مجرد إيموجي عابر.

في هذا السياق، يمكن ملاحظة أن المقاومة الرمزية الفلسطينية لا تُمارس فقط من قِبَل ناشطين متخصصين أو حسابات الجماعية، لا بمقررات خطابية رسمية فقط. علاوة على ذلك، ظهر في البيئة الرقمية الفلسطينية ما يمكن توصيفه بـ إعادة التدوير الدلالي الرمزي؛ أنماط من الرموز تُستعار من ثقافات احتجاجية أخرى، وتُعاد تعبئتها بدلالات فلسطينية خاصة. مثلاً، رمز  الذي ارتبط تاريخيًا بالتححرر من القهر، وهنا الرمز لا يُستعمل كرمز عام فحسب، بل يُشحن بمعاني فلسطينية محددة عن الكفاح والتمسك بالأرض، هذا النوع من "الافتراض المعنوي وإعادة الشحن الدلالي" يعكس قدرة المقاومة الرمزية على استيعاب السياق العالمي، ثم تصنيفه وفق تجربة محلية خاصة.

في الحالة الفلسطينية، تجسّدت المقاومة الرمزية الرقمية بصورة أكثر وضوحًا وأهمية، لا بوصفها مجرد تكتيكات للتجاوز الجزئي، بل كجزء من صراع أعمق للتمثيل والهوية على مستوى عالمي، فخلال المواجهات والعدوان الإسرائيلي المتكرر، لم يقتصر الجدل على ما يجري على الأرض، بل اتّسع إلى ساحة الفضاء الرقمي العالمي، التي تحوّلت إلى مَرْمَى أصيل لنضال السرديات والمعنى، وقد أظهرت عدة تقارير أن الشبكات الاجتماعية الكبرى، ومن بينها فيسبوك وتويتر (التي أصبحت تُعرف بـ«إكس»)، اتبعت سياسات ترشيح وحذف تبدو في ظاهرها موضوعية، لكنها في العمق أنتجت تمييزًا في المعالجة ضد المحتوى الفلسطيني والمناصر له، ما أُطلق عليه محلّون مصطلح "الإبادة الرقمية" للمحتوى الفلسطيني، أي محاصرة بنية الخطاب من الفكرة إلى الشكل وحتى الصياغة، وهو ما يوازي عمليًا محاولة طمس السردية الفلسطينية داخل التداول العالمي للمعنى الرقمي. (الجزيرة نت، 2025)

خلال الحرب على غزة منذ السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023، رصدت دراسات متعددة حجم الضغوط الرقابية على المحتوى الفلسطيني، إذ أزلت منصات مثل فيسبوك نحو 795 ألف منشور في الأيام الثلاثة الأولى من العدوان وحده، موزعة على لغات مختلفة، بينما قامت الشركة بتعديل خوارزميات البحث والتصنيف لتكون أكثر قدرة على "ملاحقة المحتوى العائد للفلسطينيين". (الرفاعي، 2023)، هذا الاستخدام المكثف للخوارزميات في فلترة المحتوى كشف هشاشة الاعتماد على الأنظمة الآلية في إدارة المجال العام، وبين كيف يمكن أن تُستخدم هذه الأنظمة كأدوات طمس لخطاب جماعة مستضعفة.

في مواجهة ذلك، ظهر خطاب رمزي فلسطيني معبر يتجاوز الصيغ النصية التقليدية، ليعتمد لغة متعددة الطبقات: من هاشتاقات مثل #FreePalestine و #SupportPalestine التي استُخدمت على نطاق واسع من قبل النشطاء والمدافعين عن حقوق الإنسان (العاصي، 2025)، إلى رموز وإيموجيات (مثل علم فلسطين، نشر اليد، الحمامة) أصبحت تحمل حمولة جماعية متفقا عليها ضمناً عبر شبكات الدعم الدولي وبدورها تشكّل امتداداً لتقنية "التشفير الاجتماعي" التي تُمكن الجماعات من توصيل دلالات سياسية دون الاعتماد على النص المباشر الذي قد يُحذف أو يُقيّد.

هذه التحولات لم تقتصر على تجاوز الحذف فحسب، بل امتدت إلى إعادة إنتاج هوية جماعية رقمية متماسكة، فحين تتكرر الرموز نفسها عبر آلاف المنشورات والتعليقات والقصص، فإنها لا تصبح مجرد أسلوب بل حامل ذاكرة مقاومة؛ ذاكرة تُعاود استحضارها الجماعة المناضلة للتأكيد على استمرارها، وتُفيد في الحفاظ على حضور القضية رغم المساعي الخوارزمية لطمرها. ويظهر هذا الاستمرار في الاستخدام المتواصل للعلامات نفسها كـ "لغة موازية" يفهمها الداعمون والمناصرون دون حاجة إلى شرح.

كما تُمارس المقاومة الرمزية الفلسطينية ليس فقط في الاجتياز، بل كردّ على "الإقصاء الناعم" الذي تمارسه الخوارزميات نفسها، وفي وجه محاولات تحديد سياقها السياسي باعتباره "خطاباً عنيفاً" أو "مخالفة للأمن". هذه المحاولات حسب تقارير تحليلية لا تُستند إلى تحقق دقيق للسياق، بل تعتمد على مفاتيح نصية مسبقة تُصنّف ضمن

قوائم الحظر، بغض النظر عن الدلالة الفعلية أو دوافع الأصل النصي (الجزيرة نت، 2025)

مقابل هذه السياسات الهيكلية، ينمو الفعل الرقمي الفلسطيني كحقل مقاومة متعدد الوسائط، يعيد تشكيل اللغة من داخل سجن الخوارزمية: فبدل الاستسلام لمعايير الحظر أو السطحية النصية، يختار الناشطون التغلغل داخل السلاسل السياقية، فيُدْمَجون الرموز والإيموجيات داخل نصوصهم كي تُقرأ بمعنى جماعي متفق عليه، وتفلت من المطابقة التلقائية. وهذا يعكس مجدداً ما يُمكن تسميته إعادة إنتاج معاني خارج نماذج الحظر، لتفتح مساحة رمزية للصمود رغم القمع التقني.

في سياق فلسطين، لا يمكن فصل هذا النمط من المقاومة الرقمية عن التجربة الاجتماعية والثقافية نفسها؛ فالقضية الفلسطينية ليست مجرد حدث سياسي، بل تجربة معاناة وتشبّت بالأرض والهوية، وهي في جوهرها مضادة لمحاولات الإلغاء التاريخي والاجتماعي. وهنا تصبح المقاومة الرمزية الرقمية امتداداً لخطاب مقاومة طويل الأمد، يحمل في رموزه وغموضه ودلالاته المشتركة طاقةً جماعية تتجاوز حدود المنصات التقنية وتربط بين الذاكرة، والهوية، والعدالة.

وعلى الرغم من أن الخوارزميات نفسها تتطور وتستجيب لمحاولات الالتفاف الرقمي (مثل تحديث أنظمة الكشف لتعريف الكلمات الضمنية أو المؤشرات البصرية)، يبقى الفضاء الرقمي نفسه مساحة صراع ديناميكي، حيث لا تتغلب القوة التقنية على قدرة الإنسان على إعادة بناء المعنى وتشاركها جماعياً، بل غالباً، كما في الحالة الفلسطينية، يتم استثمار المعنى المنقّح جزئياً عبر الرموز والنقاط والتراكيب غير المباشرة ليشكل خطاباً مضاداً أقوى مما قد يكون خطابه الصريح في سياق مراقب.

2.4 تفكك الخطاب المباشر وبروز اللغة الموارية في الفضاء الرقمي المُراقب

منذ اندلاع أحداث 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023 (طوفان الأقصى)، لم يكن الفضاء الرقمي مجرد مرآة للأحداث، بل تحوّل إلى ميدان صراع لغوي-رمزي شديد الكثافة. الفلسطينيون، والعرب، والمسلمون، ومعهم أحرار العالم، لم يواجهوا فقط

رواية مضادة، بل واجهوا منظومة خوارزمية كاملة تُعيد ترتيب الرؤية، وتُقيّد الكلمات، وتُعاقب الدلالة قبل النية، في هذا السياق بدأ التحول من الخطاب المباشر إلى الخطاب الموارب لا باعتباره خيارًا جماليًا، بل ضرورة وجودية للتداول.

المرحلة الأولى: الخطاب المباشر (الصدمة الأولى)

في الأيام الأولى، ساد استعمال اللغة الصريحة:

- #طوفان_الأقصى، #Gaz، #Palestine، كلمات مباشرة: مقاومة، احتلال، قصف، مجزرة

هذه المرحلة اتسمت باندفاع أخلاقي عاطفي، حيث افترض الفاعلون أن "الحقيقة ستفرض نفسها"، لكن سرعان ما تبين أن هذا الخطاب يدخل مباشرة في شبكات الرصد الآلي، فيُخَفَّض انتشاره، أو يُحذَف، أو يُوسَم بأنه "محتوى حساس". هنا تبدأ القطيعة الأولى بين النية والظهور.

المرحلة الثانية: التقطيع والنقطة (تفكيك الكلمة لا المعنى)

مع تصاعد الحذف، ظهرت أولى تقنيات المقاومة الرمزية: احتلال، مقاومة، إبادة، غزوة. النقطة هنا ليست زينة كتابية، بل أداة سيميائية ذكية، الإنسان يقرأ الكلمة كاملة دون جهد، الخوارزمية تتعثر لأنها تعتمد على المطابقة النصية، في هذه المرحلة، تتحول النقطة إلى أصغر وحدة مقاومة فعّالة، صحيح أنها فعل صغير لكن أثره تداولي كبير، ومع التكرار لم تعد النقطة مجرد تقنية، بل عرفًا جمعيًا.

المرحلة الثالثة: الرمز يبدل الكلمة (الانتقال من اللغة إلى الإشارة)

حين بدأت المنصّات تطوّر قدرتها على تعلّم أنماط التقطيع، حصل انتقال نوعي:

- (رمز حمامة) بدل "سلام"
- (علم فلسطين) بدل "فلسطين"
- الرمز هنا يؤدي ثلاث وظائف سوسيولوجية:
- تجاوز لغوي: لا كلمة = لا مطابقة نصية
- توحيد وجداني: الرمز يُحسّ ولا يُجادل
- اقتصاد في المخاطرة: أقل عرضة للحذف الصريح

بهذا المعنى انتقل الخطاب من قول القضية إلى الإيماء إليها، وهو تحوّل عميق في بنية التواصل السياسي.

المرحلة الرابعة: التواطؤ التأويلي (حين يفهم الجمهور دون شرح)

مع الزمن، لم يعد الرمز بحاجة إلى تفسير. حين تُكتب جملة مثل: "الليلة ثقيلة... وتتبع بعلم فلسطين" يفهم المتلقّي: الحدث، الطرف، الموقف، دون كلمة واحدة محظورة، وكأننا أمام عملية تواطؤ تأويلي جماعي، أي اتفاق ضمني على المعنى، يُقصي الرقيب لأنه لا يملك السياق الثقافي والوجداني.

المرحلة الخامسة: التدوير الإبداعي المستمر (حركة لا تتجمّد)

مع كل تحديث خوارزمي، يتغيّر الترميز:

- من النقطة إلى الشرطة
 - من الرمز إلى صورة
 - من الصورة إلى لقطة جزئية
 - من النص إلى موسيقى + تعليق مقتضب
- هذا يؤكد أننا لسنا أمام "حيلة"، بل أمام عملية اجتماعية حيّة، تتعلّم، وتُعدّل، وتراكم خبرة جماعية في مواجهة سلطة غير مرئية.

البعد العالمي: أحرار العالم واللغة العابرة للثقافات

ما يلفت النظر سوسيولوجيًا في التجربة الفلسطينية الرقمية أن الترميز الرمزي لم يبقَ حبيس المجال الثقافي الفلسطيني، بل تحوّل بسرعة إلى لغة احتجاج كونية تتداولها شبكات من النشطاء في أوروبا، أميركا اللاتينية، إفريقيا، وجنوب شرق آسيا، وهنا لا نتحدث عن "تضامن أخلاقي" بالمعنى العاطفي، بل عن انتقال بنيوي للرمز من سياق محلي إلى فضاء عالمي، حيث يفقد الرمز جذره القومي دون أن يفقد دلالاته السياسية، هذه القدرة على الانتقال دون ترجمة هي ما يمنح الرمز قوته السوسيولوجية القصوى.

من منظور علم الاجتماع الثقافي، يمكن فهم هذه الظاهرة باعتبارها تجسيدًا لما يسميه أرغون أبادوراي "تدفقات المعنى عبر الفضاءات العابرة للأوطان" (Appadurai, 1996)، حيث لا تنتقل الأفكار عبر النصوص وحدها، بل عبر صور، علامات، وإيماءات



تختزل سرديات كاملة في شكل بصري واحد. الرمز الفلسطيني الرقمي سواء كان علمًا، يَدًا مرفوعة، أو نقطة صامته يعمل ك حامل سردي مضغوط، ينقل معنى الظلم والمقاومة دون المرور عبر اللغة القومية التي قد تُقصي أو تُحرف.

في هذا المستوى، تصبح الرموز لغة مشتركة بين فاعلين لا يتقاسمون التاريخ ولا اللغة ولا التجربة المعيشية نفسها، لكنهم يتقاطعون في إدراك بنيوي للظلم، هنا يتجلى ما يمكن تسميته التفاهم الرمزي العابر للثقافات؛ أي لحظة يتراجع فيها النص لصالح العلامة، ويتحوّل الرمز إلى وسيط تواصل أكثر كفاءة من الخطاب السياسي المباشر. وهذا ما يفسّر الانتشار الكثيف للرموز الفلسطينية في احتجاجات طلابية ونقابية وحركات مناهضة للاستعمار والعنصرية حول العالم.

من زاوية أخرى، يكشف هذا التحول عن فشل اللغة السياسية التقليدية في العبور داخل الفضاء الرقمي الخاضع للرقابة، مقابل نجاح الرمز في الإفلات من آليات التصنيف والحجب. هنا نلتقي مع تحليل مانويل كاستلز الذي يرى أن الحركات الاجتماعية في عصر الشبكات لا تُبنى حول البرامج الأيديولوجية الصلبة، بل حول هويات رمزية مرنة قادرة على الانتشار داخل "فضاء التدفقات" (Castells, 2012). الرمز الفلسطيني الرقمي لا يفرض سرديّة مغلقة، بل يفتح مجال تأويل واسع، يسمح لكل جماعة أن تدرجه ضمن معجمها الاحتجاجي الخاص.

الأهم سوسيولوجيًا أن هذا الانتشار لم يكن مركزيًا ولا موجّهًا من نخبة، بل تم عبر ما يسميه لانس بينيت وألكسندرا سيغربيرغ "الفعل الجماعي المُشخّص" (Personalized Collective Action)، حيث لا يشترط أن يكون العمل الجماعي منظّمًا هرميًا، بل يتكوّن من أفراد يتشاركون السرديات عبر وسائل رقمية (Bennett & Segerberg, 2012). هكذا يتحول الرمز من علامة تضامن إلى أداة بناء هوية احتجاجية عالمية، مرنة، غير خاضعة لسلطة خطاب واحد.

في هذا السياق، لا تعود القضية الفلسطينية "موضوعًا" للتضامن، بل تصبح نقطة التقاء رمزية لنضالات متعددة ضد الاستعمار، العنصرية البنيوية، والعنف المؤسسي، وهذا ما يفسّر لماذا تُرفع الرموز الفلسطينية في سياقات تبدو للوهلة الأولى

بعيدة جغرافيًا، لكنها قريبة بنيويًا. الرمز هنا لا يقول "فلسطين فقط"، بل يقول "نحن نعرف هذا النمط من القمع".

سوسيولوجيًا، يمكن القول إننا أمام تشكّل ما يشبه اللغة الأخلاقية العالمية غير المنطوقة، حيث يُستبدل الخطاب التفسيري بعلامات مختزلة عالية الشحنة، هذا يتقاطع مع طرح جوديث بتلر حول "قابلية الحداد المشتركة" (Grievability)، حيث لا تُقاس قيمة الحياة عبر الاعتراف السياسي الرسمي، بل عبر قدرة الجماعات على جعل خسارتها مرئية ومفهومة عالميًا (Birgit, 2011)، فالرمز الفلسطيني الرقمي ينجح في جعل المعاناة "قابلة للإدراك" حتى خارج سياقها الأصلي. من هنا لا يمكن فهم البعد العالمي لهذه الرموز بوصفه تعاطفًا عابرًا، بل كجزء من إعادة تشكيل المجال العام العالمي خارج الدولة، وخارج اللغة، وخارج المؤسسات. نحن أمام فضاء احتجاجي جديد، تُدار فيه المعاني عبر علامات لا تُترجم بل تُشارك، ولا تُفسّر بل تُستشعر، وهذا بحد ذاته يمثل تحوّلًا عميقًا في أنماط الفعل السياسي المعاصر.

3.4 الصوت الفلسطيني في مواجهة الهيمنة الخوارزمية: اختراق، مقاومة، وتموقع

في العقد الأخير شهدت القضية الفلسطينية صراعًا رقميًا رمزيًا لم يقتصر على معارك الشوارع والساحات، بل امتد إلى فضاءات الخوارزميات التي تتحكم في رؤيتنا لما نراه، نقرأه، ونناقشه على منصات التواصل الاجتماعي. رغم أن الخوارزميات، بحكم تصميمها وخصائصها التقنية، تميل إلى ترشيح وحجب المحتوى بحسب معايير غامضة وأحيانًا غير عادلة، فإن الفلسطينيين ومناصريهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي. الصدام هنا ليس بين رأيين سياسيين فقط، بل بين آليات تصنيف آلي تقوم على قواعد ضيقة من جهة، وبين خطاب جماهيري يصير على الظهور والحفاظ على سرديته من جهة أخرى.

تشير تقارير متعددة إلى أن محتوى فلسطينيًا واسعًا قد تعرّض لحجب أو تقييد عبر منصات كبرى؛ إذ وثّق مركز صدى سوشال الفلسطيني أكثر من 25 ألف حالة انتهاك للمحتوى الفلسطيني عام 2024، موضّحًا كيف تحول الإنترنت من "فضاء مفتوح للتعبير

الحر" إلى ساحة للاستهداف الممنهج والإقصاء الرقمي". (المركز الفلسطيني للإعلام، 2025).

وفي سياق مشابه، تظهر دراسات وتحليلات أن الأنظمة الآلية في شركات مثل فيسبوك وتويتر قد تعمل بشكل خاطئ أو متحيز، ما يؤدي إلى حذف أو تقييد منشورات تحمل كلمات مرتبطة بالقضية الفلسطينية مثل "المقاومة" و"شهيد"، ما يعكس درجة رقابية غير مبررة بحق الخطاب الفلسطيني (وفا، 2021). هذه المُعطيات تُظهر بوضوح أن الفضاء الرقمي ليس محايداً؛ بل يتداخل فيه المنطق التقني مع مواقع القوة السياسية والثقافية.

إزاء هذا القمع، طوّر الفاعلون الفلسطينيون والعرب والأحرار حول العالم استراتيجيات لغوية ورمزية جديدة تُحاكي النظم الخوارزمية وتحرك الوعي الجماهيري على حدّ سواء. من أبرز هذه الاستراتيجيات استخدام التقطيع اللغوي الواعي، الترميز الرمزي المدرك، واللغة الموارية التي تُعثر عنها الخوارزميات أو تتجاوزها جزئياً حتى تصل إلى البشر الذين يملكون الخلفية الثقافية نفسها لفك الشيفرة. مثال ذلك الحملات الرقمية التي انخرط فيها آلاف المستخدمين في كتابة الكلمات الحساسة بحروف متفرقة أو بدون نقاط أو بفواصل بينها لتجنّب حجها من قبل أنظمة التصفية، وقد نجحت هذه الحيل المؤقتة في إبقاء أصوات فلسطينية على منصات كانت تبدو مغلقة أمامها.

لكن السؤال الأهم من مجرد المرور عبر خرائط الرقابة هو ما إذا كانت هذه الجهود تُسجّل كاختراق حقيقي للخوارزمية في سياق الظاهرة الاجتماعية العامة. هنا، لا يمكن النظر إلى هذه الحالة كحالة تقنية فحسب، بل بوصفها حادثة تنتج معنى اجتماعياً: إنها إشارة إلى أن الفاعلين الاجتماعيين ليسوا سلبيين أو عاجزين أمام الأجهزة التقنية، بل يصنعون شكلاً من العمل الجمعي المعتمد على الإبداع في اللغة والرمز، الذي يُمكن أن يتجاوز حدود التصفية الميكانيكية مؤقتاً، ويُحوّل الخطاب نفسه إلى مكان مقاومة معرفية.

هذا الصراع لا يُنتج فقط محتوى غير محبوب، بل هو صراع على الاعتراف والمعنى؛ حيث يتطلب من الجماعة أن تُعيد بناء السرد الفلسطيني داخل بيئات لا تتجاوب دوماً مع تسجيلات الواقع. في هذا الصدد، تأتي استراتيجيات مثل تجنيد تأثيرين

غير فلسطينيين لنشر السردية، واستخدام لغات عامية أو رموز وسيطة تتجاوز المفاهيم التقنية الجامدة، كجزء من تحالفات رمزية تمتد خارج جغرافيا الصراع الأصلي .
من الناحية السوسيولوجية، يمكن قراءة ذلك ليس فقط كاختراق تقني، بل كبناء مجال عام مضاد؛ مجال يترابط فيه المجال الرقمي المهيمن مع مشروعات احتجاجية متصلة، تسعى إلى إعادة صياغة الشروط نفسها للظهور، لا مجرد تجاوز الحجب. بهذا المعنى، يكون الفلسطينيون ومناصروهم قد نجحوا جزئيًا في تحدّي السلطة الخوارزمية وإحداث مساحات صوتية معقولة، لكنها ما تزال محدودة واستعادية وتعمل ضمن قيود تتطلب دائمًا مزيدًا من التكيف والابتكار.

5. خاتمة:

ليس ما شهدناه في الفضاء الرقمي خلال السنوات الأخيرة مجرد "تفاعل" عابر مع حدثٍ سياسي، بل هو تشكّل بطيء ومركّب لوعي جمعي جديد، وُلد داخل بيئة مُقيّدة، وتعلّم أن يتنفس عبر الشقوق. لقد كشفت التجربة الفلسطينية الرقمية أن السلطة لم تعد تُمارَس فقط عبر القمع المباشر، بل عبر إدارة الرؤية، وترتيب الظهور، وتطبيع الصمت. وفي المقابل، لم تعد المقاومة فعل مواجهة صاخب، بل ممارسة ذكية، صبورة، تُراكم المعنى وتراوغ المنع دون أن تفقد بوصلتها الأخلاقية.

ما يلفت سوسيولوجيًا أن هذا الحضور لم يُبَيّن على خطابٍ واحد، ولا على مركزٍ ناطق باسم الجميع، بل على تشخّطٍ خلاق، حيث تحوّل الفرد العادي إلى فاعل رمزي، يحمل قضيته داخل قصته الخاصة، ويزرعها في فضاءات بعيدة عن سياقها الجغرافي الأصلي. هكذا لم تعد فلسطين "موضوعًا إخباريًا"، بل خبرة إنسانية قابلة للتداول، والتمثّل، والتماهي، وهو تحوّل بالغ الأهمية في منطق التضامن العالمي.

لقد أظهرت اللغة الموارية، والرمز المختزل، والصورة المشحونة، أن الضعف الظاهري يمكن أن يتحوّل إلى قوة استراتيجية. فحين يُغلَق الخطاب المباشر، تُفتح مسارات جانبية للمعنى، وحين تُراقب الكلمات، تتكلم العلامات، وحين تُصدّر المنصات، يُعاد تشكيلها من الداخل. في هذا المستوى، لم يعد السؤال: هل انتصر الصوت على



الخوارزمية؟ بل: كيف أجبرت الخوارزمية على التكيّف مع ضغط أخلاقي جماعي لم يكن في حساباتها؟

الخلاصة الأعمق التي يفضي إليها هذا البحث هي أننا أمام إعادة تعريف للفعل السياسي نفسه؛ فعلٌ لا يطلب الإذن ولا ينتظر الاعتراف، ولا يثق كلياً في حياد الأدوات، لكنه يراكم أثره بصبر طويل، ويُبقي الذاكرة حيّة في زمن يسعى إلى تسريع النسيان. لقد أثبتت التجربة الفلسطينية الرقمية أن المعنى، حين يتسلّح بالصدق والمرونة والذكاء الجمعي، قادر على البقاء حتى في أكثر البيئات عداءً له.

وهنا، لا تنتهي المعركة عند حدود المنصّة، بل تبدأ منها، فالصراع في جوهره ليس فقط على الأرض، بل على السردية، وليس فقط على الحق، بل على قابليته لأن يُرى ويُفهم ويُحسّ وفي هذا الامتحان الرمزي العسير، تقدّم الفضاء الرقمي الفلسطيني بوصفه مختبراً حياً لفهم كيف يمكن للمقهور أن يعيد صياغة حضوره، لا عبر كسر النظام، بل عبر فضح منطقته من داخله.

6. قائمة المراجع:

■ المؤلفات

- Appadurai, A. (1996). *Modernity at large: Cultural dimensions of globalization*. Minneapolis: University of Minnesota Press.
- Bourdieu, P. (1991). *Language and symbolic power* (J. B. Thompson, Ed.; G. Raymond & M. Adamson, Trans.). Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Butler, J. (2009). *Frames of War: When Is Life Grievable?* First edition. London, UK: Verso.
- Castells, M. (2012). *Networks of outrage and hope: Social movements in the Internet age*. Cambridge: Polity Press.

- Certeau, M. de. (1984). *The practice of everyday life*. Berkeley, CA: University of California Press.
- Foucault, M. (1972). *The Archaeology of Knowledge and the Discourse on Language*. First edition. New York, USA: Pantheon Books.
- Foucault, M. (1995). *Discipline and punish: The birth of the prison* (A. Sheridan, Trans.). New York, NY: Vintage Books.
- Noble, S. U. (2018). *Algorithms of Oppression: How Search Engines Reinforce Racism*. First edition. New York, USA: New York University Press.
- Scott, J. C. (1985). *Weapons of the Weak: Everyday Forms of Peasant Resistance*. First edition. New Haven, USA: Yale University Press.
- Scott, J. C. (1990). *Domination and the arts of resistance: Hidden transcripts*. New Haven, CT: Yale University Press.

■ المقالات:

- Bennett, W. L., & Segerberg, A. (2012). The logic of connective action: Digital media and the personalization of contentious politics. *Information, Communication & Society*, 15(5), 739–768.
<https://doi.org/10.1080/1369118X.2012.670661>
- Birgit Schippers (2011). Judith Butler, Frames of War: When Is Life Grievable? Redescriptions: Political Thought, Conceptual History and Feminist Theory, 15(1), 231–238. DOI:
<https://doi.org/10.7227/R.15.1.16>

- Stinson, C. (2022). Algorithms are not neutral: Bias in collaborative filtering. *AI and Ethics*, 2(4), 763–770.
<https://doi.org/10.1007/s43681-022-00136-w>
- Gillespie, T. (2014) *The relevance of algorithms. Information, Communication & Society*, 17(3), 167–194.
DOI: <https://doi.org/10.1177/2053951714549516>

■ مواقع الانترنت

- العاصي، ح. (2025، أغسطس 22). المقاومة الرقمية للسردية الفلسطينية. المنار الثقافية الدولية. تم الاسترجاع من
<https://mj-iq.com/المقاومة-الرقمية-للسردية-الفلسطينية/>
- الرفاعي، إ. (2023، أكتوبر 21). منصات التواصل الاجتماعي.. مساحة فلسطين المصادرة. معهد الجزيرة للإعلام. تم الاسترجاع من
<https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/2392>
- وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا). (2021). بحث يكشف خوارزميات لحجب المحتوى الفلسطيني على وسائل التواصل الاجتماعي. رام الله: وفا. تم الاسترجاع من
<https://www.wafa.ps/pages/details/32868>
- المركز الفلسطيني للإعلام. (2025). توثيق 25 ألف انتهاك ضدّ المحتوى الفلسطيني على منصات التواصل في 2024. مسترجع من:
<https://palinfo.com/news/2025/05/04/950760/>